الباب الأول

(نشأة النفاق والمنافقين)

وفيه مباحث:

المبحث الأول: تعريف النِّفاق

المبحث الثاني: الحكمة من وجود المنافقين في المجتمع الإسلامي

المبحث الثالث: متى بدأ النِّفاق ؟

المبحث الرابع: عدد المنافقين وأصنافهم

المبحث الخامس: شخصية المنافق

المبحث السادس: طبقات المنافقين

obeikandi.com

(١٠) النفاق والمنافقون

obeikandl.com

المبحث الأول

تعريف النِّفاق

النِّفاق في لغة العرب: اسمٌ إِسْلَامِيٌّ، لَمْ تَعْرِفْه الْعَرَبُ بالمعْنى المخْصُوص بِهِ، ... وَإِنْ كَانَ أصلُه فِي اللُّغة مَعْروفًا.

يُقَالُ: نَافَقَ يُنَافِقُ مُنَافَقَةً ونِفَاقاً، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ النَّافِقَاءِ: أحَد جِحَرة اليَرْبوع، إِذَا طُلِب مِنْ واحِدٍ هرَب إِلَى الآخَر، وخرَج مِنْهُ. وَقِيلَ: هُوَ مِنَ النَّفَقِ: وَهُوَ السَّرَب الَّذِي يُسْتَتَر فيهِ، لِسَتْرِه كُفْرَه(١).

والنِّفاق شَرْعًا (اصطلاحًا): « هُوَ أن يَسْتُرَ الرَّجلُ كُفْرَه ويُظْهر إِيمَانَهُ ». فالمنافِق هو الذي يخالف قولَه فعلُه، وسرَّه علانيتُه، ومُدخلَه مُخرجُه، ومشهدُه مغيبَه »(٢).

أو هو « مَنْ تحقَّقت فيه خصالُ النِّفاق الأربعة: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ ».

فالمنافق مُراوِغ مُحتالٌ مُتقلِّبٌ مُتذَبذِبٌ. يُظهِر خلاف ما يُبطِن.

وقد تفشَّت ظاهرة النِّفاق بعد ظهور الإسلام قوة عظيمة تُهدِّد

---

(١) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٥/ ٩٨).

(٢) المنافقون في الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح د. محمد موسى، ص (٨).

ما حولها من كفر وشرك، فظهرت ونبعت من بيئة اليهود، ورسخت وفرَّخت عند ضعاف الإيمان، مرضى النفوس، أصحاب الأهواء والزعامات والشهوات، وبعضهم ممن ينتسب إلى الإسلام زورًا وبهتانًا.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَالنِّفاق لُغَةً مُخَالَفَةُ الْبَاطِنِ لِلظَّاهِرِ. فَإِنْ كَانَ فِي اعْتِقَادِ الْإِيمَانِ فَهُوَ نِفَاقُ الْكُفْرِ، وَإِلَّا فَهُوَ نِفَاقُ الْعَمَلِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْفِعْلُ وَالتَّرْكُ، وَتَتَفَاوَتُ مَرَاتِبُهُ »، وكذا « ارْتَضَاهُ الْقُرْطُبِيُّ، وَاسْتَدَلَّ لَهُ بِقَوْلِ عُمَرَ لِحُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: [هَلْ تَعْلَمُ فِيَّ شَيْئًا مِنَ النِّفاق؟]. فَإِنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ نِفَاقَ الْكُفْرِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ نِفَاقَ الْعَمَلِ»(١).

• والنِّفاق الأكبر من أعظم الكفر. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾** ﴾ (النساء).

وقد قسَّم الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكفر إلى:

((كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شكٍّ، وكفر نفاق، ويضاف على ذلك كفر

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني (١/ ٨٩-٩٠).

الاستهزاء، وكفر الشرك بأنواعه من (شِرْك النَّسَب، وشِرْك العبادة، وشِرْك الدعاء، وشِرْك التشريع، وشِرْك المحبة، وشرك التفريق)، وكفر الحاكمية، وكفر تارك الصلاة)).

فالنِّفاق كالكفر. فكما يُقال: (كفر ينقل أكبر، وكفر أصغر)، يُقال أيضًا: (نفاق أكبر، ونفاق أصغر).

ولقد شبَّه ابنُ القيِّم النِّفاق بأنه كالزَّرع، فقال: « زَرْعُ النِّفَاقِ يَنْبُتُ عَلَى سَاقِيَتَيْنِ: سَاقِيَةِ الْكَذِبِ، وَسَاقِيَةِ الرِّيَاءِ، وَمَخْرَجُهُمَا مِنْ عَيْنَيْنِ: عَيْنِ ضِعْفِ الْبَصِيرَةِ، وَعَيْنِ ضَعْفِ الْعَزِيمَةِ، فَإِذَا تَمَّتْ هَذِهِ الْأَرْكَانُ الْأَرْبَعُ اسْتَحْكَمَ نَبَاتُ النِّفَاقِ وَبُنْيَانُهُ، وَلَكِنَّهُ بِمَدَارِجِ السُّيُولِ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ، فَإِذَا شَاهَدُوا سَيْلَ الْحَقَائِقِ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ، وَكُشِفَ الْمَسْتُورُ، وَبُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، تَبَيَّنَ حِينَئِذٍ لِمَنْ كَانَتْ بِضَاعَتُهُ النِّفَاقَ أَنَّ حَوَاصِلَهُ الَّتِي حَصَّلَهَا كَانَتْ كَالسَّرَابِ ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾»(١).

❁ ❁ ❁

(١) مدارج السالكين لابن القيِّم (١/ ٣٦٥)، وصفات المنافقين له، ص (٢١).

المبحث الثاني

الحكمة من وجود المنافقين في المجتمع الإسلامي

لقد أفاض القرآن الكريم كثيرًا في الحديث عنهم، وخصَّت كتب السنة والتفسير والسيرة هذا الصنف من البشر بجزء كبير من الاهتمام والتفصيل.

وقد سَمِعَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَهْلِكِ الْمُنَافِقِينَ»، فَقَالَ: [يَا ابْنَ أَخِي، لَوْ هَلَكَ الْمُنَافِقُونَ لَاسْتَوْحَشْتُمْ فِي طُرُقَاتِكُمْ مِنْ قِلَّةِ السَّالِكِ](١).

فالنِّفاق من لوازم الدعوات، لأن الناس معادن، وطلاب المطامع والأهواء ما أكثرَهم في كل عصر ومصر!، يتقاتلون لإرضاء شهواتهم، والوصول إلى مطامعهم.. وأتباع الشياطين الذين يكيدون للمؤمنين لن يخلو منهم مجتمع مادامت السموات والأرض؛ ليميز الله ﷻ الخبيث من الطيب. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (الأنعام).

إن جريمة النِّفاق هي شرُّ فِعْلَةٍ في الوجود، والمنافقون هم شرُّ

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٦٤)، وصفات المنافقين له، ص (٢٠).

الخليقة بأسرِها، ومحنتهم أشدُّ المِحَنِ على نفوس المؤمنين وقعًا.

ولابد لوجودهم من حِكَمٍ وأسرار، كما لوجود الشياطين حِكَمٌ وأسرار، ومنها:

١ـ تنقية صفوف المؤمنين من الضعفاء ومرضى القلوب.

٢ـ صقل النفوس المؤمنة وتعويدها الكفاح والجهاد، والصبر على المكاره، وخوض الأزمات بقدم ثابتة، والخروج من المآزق والنكبات بقلوب أقوى إيمانًا، ونفوس أشدَّ يقينًا.

٣ـ تمييز الطيب من الخبيث، والصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق. قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الرعد).

٤ـ أن يلجأ المؤمن إلى ربه، ويتضرع إليه، فعندما يرى أن الريح تعصف به من كل مكان يعلم أنه لن يخرج من تلك المحنة المروعة إلا بصدق اللجوء إلى الله ﷻ، والثبات على الحق، والصبر على المكاره، حتى يخرج من هذه المحنة قويَّ البأس، ثابتَ الجأش، ولولا هذه الثغرات لما حدث الفرج والنصر.

والله ﷻ جلَّت قدرته لا يجعل شيئًا إلا لحكمة، ولا يُحدِث أمرًا إلا لغاية وهدف. سبحانه! هو أحكم الحاكمين.

المبحث الثالث

متى بدأ النِّفاق ؟

وفي هذه المسألة قولان:

القول الأول: ـ وهو القول الراجح ـ أنه بدأ في المدينة النبوية، حيث توالت السور المدنية في فضح المنافقين، وهتك أستارهم. فمكَّةُ لم تكن دار نفاق، بل كان عكس النِّفاق، وهو إظهار الكفر، وإخفاء الإيمان، بسبب إيذاء المشركين للمؤمنين، وإكراههم على الكفر لبعض من أسلم وآمن.

وقد بدأ في المدينة بعد غزوة بدر، عندما دخل رأس المنافقين عبد الله بن أُبى ابن سلول وطائفة معه الإسلامَ (تَقِيَّة) متظاهرين بالإسلام، مُبطِنين الكفر والشرك.

قال تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾ (النساء).

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُحُدٍ رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ، وَفِرْقَةً تَقُولُ: لاَ نُقَاتِلُهُمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾، وَقَالَ: { **إِنَّهَا طَيْبَةُ، تَنْفِي الذُّنُوبَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ** }(١).

وقيل: إنها نزلت في شأن قوم مِنَ الْعَرَبِ أَتَوْا رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأَسْلَمُوا، وَأَصَابَهُمْ وَبَاءُ بِالْمَدِينَةِ ـ حُمَّاهَا ـ فَأُرْكِسُوا، فَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا لَهُمْ: مَا لَكُمْ رَجَعْتُمْ؟ قَالُوا: أَصَابَنَا وَبَاءُ الْمَدِينَةِ فَاجْتَوَيْنَا الْمَدِينَةَ. فَقَالُوا: أَمَا لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَافَقُوا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يُنَافِقُوا، هُمْ مُسْلِمُونَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾(٢).

وقد نعتهم القرآن الكريم بالنِّفاق.

القول الثاني: أنه بدأ في مكَّةَ مُتمثِّلًا في بعض صُوَرِ الرِّدَّةِ عن

---

(١) أخرجه البخاري: ك: المغازي، ب: غزوة أحد، ح (٤٠٥٠)، ومسلم: ك: صفات المنافقين، ح (٢٧٧٦).

(٢) أخرجه أحمد، ح (١٦٦٧)، وانظر تفسير القرطبي (٥/ ٣٠٦).

الإسلام.

• وقال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ (الأنفال).

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: « هُمْ قَوْمٌ كَانُوا مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِمَكَّةَ، قَالُوهُ يَوْمَ بَدْرٍ »، وَقَالَ عَامِرٌ الشَّعْبِيُّ: « كَانَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَدْ تَكَلَّمُوا بِالْإِسْلَامِ، فَخَرَجُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَمَّا رَأَوْا قِلَّةَ الْمُسْلِمِينَ، قَالُوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ » أي ارتدُّوا عن الإسلام.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: « فِئَةٌ من قريش، قَيْسِ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَأَبُو قَيْسِ بْنُ الْفَاكِهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَالْحَارِثُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، وَعَلِيُّ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَالْعَاصُ بْنُ مُنَبِّهِ بْنِ الْحَجَّاجِ، خَرَجُوا مَعَ قُرَيْشٍ مِنْ مَكَّةَ، وَهُمْ عَلَى الِارْتِيَابِ فَحَبَسَهُمُ ارْتِيَابُهُمْ، فَلَمَّا رَأَوْا قِلَّةَ أَصْحَابِ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى مَا قَدِمُوا عَلَيْهِ مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ»(١).

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٧).

والراجح: هو القول الأول ـ كما أسلفنا ـ لأن النِّفاق لم يكن في مكة معروفًا كما كان في المدينة، لأن المسلمين كانوا قلَّة، وكانوا مضطهَدين. فلم يكن هنالك من المُغريات ما يدعو إلى اندساس فريق المنافقين بين صفوف المؤمنين.

• وعلى القول بظهور النفاق في مكة، فإن النِّفاق في مكة يختلف عن نوع النِّفاق في المدينة. فعندما تعمل السياط في ظهور المؤمنين عملها. ويتفنن الأبالسة وأعوانهم في افتتان المؤمنين عن دينهم حتى تضيق الدنيا في وجوههم، يحدث التمحيص والتصنيف: فيقوى إيمان أناسٍ، ويزداد يقينهم بهذه الفتن والابتلاءات. فأولئك الذين يثبت الله قلوبهم، ويكتب لهم السلامة في الدنيا والآخرة، ويجعلهم ستارًا لقدرته، وأداة لنصرة دينه في الأرض. ويمكِّن لهم في الأرض.

• ويكشف فريق ضعاف القلوب وصغار النفوس، الذين لا توافق طبيعتهم الكفاح والجهاد من أجل الحق، ولا تتحمل المحن والأزمات، تصغر نفوسهم عن فهم الحقائق، فلا يذوقون حلاوتها، وتتضاءل عقولهم، فلا يطيقون الصبر على المحن، ولا يستطيعون الثبات أمام الفتن، فإذا هم يخسرون الدنيا والآخرة،

ويتنكبون طريق الحق، ويتخبطون في ظلمات الكفر.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحج).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ ﴾. قَالَ: [كَانَ الرَّجُلُ يَقْدَمُ المَدِينَةَ، فَإِنْ وَلَدَتِ امْرَأَتُهُ غُلاَمًا، وَنُتِجَتْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينٌ صَالِحٌ، وَإِنْ لَمْ تَلِدِ امْرَأَتُهُ وَلَمْ تُنْتَجْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينُ سُوءٍ](١).

وفي قوله تعالى: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (الماعون).

تلك السورة المكية، يتبين لنا بعض الصفات العملية للنفاق، بأسلوب زاجر متوعِّد، وهي: (السهو عن الصلاة، والرياء، ومنع الماعون عن الناس، أي ترك المعاونة بمال أو منفعة) .

---

(١) أخرجه البخاري: ك: التفسير، ب: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾، ح (٤٧٤٢).

قالَ ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [هُمُ الْمُنَافِقُونَ، يُرَآءُونَ النَّاسَ بِصَلاتِهِمْ إِذَا حَضَرُوا، وَيَتْرُكُونَهَا إِذَا غَابُوا، وَيَمْنَعُونَهُمُ الْعَارِيَةَ بُغْضًا لَهُمْ، وَهِيَ الْمَاعُونُ](١).

• والنِّفاق لم يكن قاصرًا على مكة أو المدينة فقط.. إنما كان هناك منافقون خارج المدينة (كالأعراب حولها، والمنافقون في البلاد التي دانت للإسلام، كما حدث في اليمامة مع مسيلِمة الكذاب ومن معه).

قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ (التوبة).

• والمهاجرون لم يكن فيهم نفاق ولا منافقون، لأنه لم يكن فيهم أحد يهاجر مُكرهًا، بل يهاجر فيترك ماله وولده وأرضه؛ رغبة فيما عند الله والدار الآخرة.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (١٤٤٩٥).

المبحث الرابع

عدد المنافقين وأصنافهم

وقد بلغ عدد المنافقين في المدينة ما يقارب ثلاثمائة وسبعين رجلًا وامرأةً، أحدثوا بين المسلمين من الفُرقة والشِّقاق والكَيد أمورًا تغلَّب عليها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (المؤيَّد بالوحي)، فقد جمع الله تعالى له من أسباب الحكمة والقوة وبُعْدِ النَّظَر ما لم يجتمع لزعيم قبله ولا بعده.

• ومعظم هؤلاءِ المنافقين إما: أنهم من أهل الكتاب الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وبعضهم من الخزرج والأوس، وفريق رابع من الأعراب المجاورين للمدينة.

وإليك أشهرَ هؤلاءِ المنافقين الذين لَعِبوا دورًا خطيرًا في الفتن في العَهْد المدنيِّ:

أولا: منافقون من الأوس والخزرج:

- عَبْدُ الله بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ (رأس المنافقين)، وفيه نزلت سورة المنافقون، والآيات من (١١-١٧) من سورة الحشر، وحادثة الإفك في ثماني آيات من سورة النور، وآيات أخرى كثيرة.

- جُلَاسُ بْنُ سُوَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ ...﴿٧٤﴾ ﴾ (التوبة).

- الْحَارِثُ بْنُ سُوَيْدٍ أخو جُلَاس. وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (آل عمران).

- بِجَادُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَامِرٍ.

- نَبْتَلُ بْنُ الْحَارِثِ. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (التوبة).

- زُوَيُّ بْنُ الْحَارِثِ... وهو أَوْسِيٌّ.

- أَبُو حَبِيبَةَ بْنُ الْأَزْعَرِ. وكان ممن بنَى مسجدَ الضِّرار، ومعه من المنافقين: (خِذَامُ بْنُ خَالِدٍ، وَعَبَّادُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَعَمْرُو بْنُ خِذامٍ، وَجَارِيَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَابْنَاهُ مُجَمِّعٌ وَزَيْدٌ، وَوَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ،

وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (التوبة).

- أَوْسُ بْنُ قَيْظِيّ. وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ (الأحزاب)، وهو أخو مِرْبَعِ بْنِ قَيْظِيّ من المنافقين أيضًا.

- (أبو طُعمة) بَشِيرُ بْنُ أُبَيْرِقٍ سَارِقُ الدِّرْعَيْنِ. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ (النساء).

- وَقَيْسُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ، وَعَمْرُو بْنُ قَيْسٍ، وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو، ورَافِعُ بْنُ وَدِيعَةَ... وكلُّهم من الخزرج، ومن بني النجار.

- وَالْجَدّ بْنُ قَيْسٍ، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (التوبة).

ثانيًا: منافقون من أحبار اليهود:

(سَعْدُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَزَيْدُ بْنُ اللّصَيْتِ، وَنُعْمَانُ بْنُ أَوْفَى بْنُ عَمْرٍو، وَعُثْمَانُ بْنُ أَوْفَى)، وكلُّهم مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَرَافِعُ بْنُ حُرَيْمِلَةَ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُنَافِقِينَ، وَرِفَاعَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ التَّابُوتِ، وَسِلْسِلَةُ بْنُ بَرْهَامٍ، وَكِنَانَةُ بْنُ صُورِيَا.

ثالثا: منافقون آخرون:

ـ منافقُ بني حنيفةَ، وهو: (الرّجّالُ بْنُ عُنْفُوَةَ) منافق اليمامة الذي تشيَّع لمسيلمة الكذاب وعاونه، وكان يحفظ أكثر القرآن، وقيل فيه نزل قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (الأعراف).

ـ عَصْمَاءُ بِنْتُ مَرْوَانَ.

ـ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ الثَّقَفِيُّ من ثقيف، وكان حسن المظهر حلو المنطق. نزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ (البقرة).

هذه بعض الأسماء التي لعبت دورًا في مأساة النِّفاق بالمدينة.

۞ ۞ ۞

المبحث الخامس

شخصية المنافق

للمنافق صفات حِسِّيَّةٌ وأخرى معنوية، تميِّز شخصيته، وتستطيع من خلالها التعرف على شخصيته وكُنْهِه.

أولا: الصفات الحسِّية للمنافق:

• قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ (المنافقون).

فقد اشتملت الآية على صفتين:

١ـ جمال الخلقة، وحسن المظهر: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾.

٢ـ عذوبة الحديث ودماثته: ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ ولكن ليس ذلك عن علم. إنما عن كذب وجهل بحقيقة الأمور وكُنْهِها ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (الواقعة).

وهذه صورة لوجهاء القوم. أهل الأبهة والثراء والغِنَى والترف من ذوي الصدارة والمكانة والشهرة بين الناس.

وكانت هاتان الصفتان متمثِّلتين في عبد الله بن أبيٍّ بن سلول، وكان سيد قومه، وكان الأوس والخزرج قد ارتضَوه ملكًا عليهم، وكانوا يُعِدُّون العُدَّة لذلك لولا قدوم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، وكان عبد الله (رأس المنافقين) حسن الخلقة، جميل الصورة، عذب الحديث، سيدًا مُهابًا في قومه.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: « كَانَ نَبْتَلُ بْنُ الْحَارِثِ يَأْتِي رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجلس إليه، فيسمع مِنْهُ، ثُمَّ يَنْقُلُ حَدِيثَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ... ﴿٦١﴾ ﴾ (التوبة) » (١).

وهذا الرجل (نَبْتَلُ بْنُ الْحَارِثِ) كان رجلًا جسيمًا مسترخي الشفتين، ثائرَ شعرِ الرَّأْسِ، أَسْفَعَ الْخَدَّيْنِ، أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ، كَأَنَّهُمَا قِدْران مِنْ صُفْرٍ، كَبِدُهُ أَغْلَظُ مِنْ كَبِدِ الْحِمَارِ.

ونستخلص من هذا أيضًا صفتين:

٣ـ قبح المنظر كأنه شيطان.

٤ـ الشراسة والغلظة والوحشية (كَبِدُهُ أَغْلَظُ مِنْ كَبِدِ الْحِمَارِ).

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، رقم (١٠٣٩٩).

ويتضح من هاتين الصفتين شخصية الرِّعاع من القوم وسوقتهم.

وكانت هاتان الصفتان متمثِّلتين في نَبْتَلِ بْنِ الْحَارِثِ، والذي تدل صورته التي أمامنا على أنه كان من طبقة السُّوقَةِ الرِّعاع.

ومن خلال ذلك تستطيع أن تجد أمثالًا لهؤلاءِ في دنيا الناس اليوم، ويمكنك التعرف عليهم بسهولة ويسر، بعد ذلك.

ثانيًا: الصفات المعنوية للمنافق:

وتظهر هذه الصفات في أعماله وأقواله، من ذلك:

١. أن يظهر خلاف ما يبطن.

٢. يتربَّص بالمؤمنين الدوائر.

٣. لديه رِيبة وشكٌّ في الدين، أو في وعد الله ﷻ بنصر المؤمنين.

٤. مغرور بالدنيا، ومفتون بها.

٥. إذا حدَّثَ كَذَبَ.

٦. إذا اؤْتُمِنَ خانَ.

٧. إذا عاهَدَ غَدَرَ.

٨. إذا خاصَمَ فَجَرَ.

oneikanal.com

وقد وردت الصفات الأربعة الأولى في قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الحديد).

وأما الصفات الأربعة الأخرى فقد وردت في أحاديث (آية المنافق).

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ }**(١).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري: ك: الإيمان، ب: علامة المنافق، ح (٣٤)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: بيان خصال المنافقين، ح (٥٨).

المبحث السادس

طبقات المنافقين

• إن المنافقين في الغالب الأعمِّ بين طبقتين من طبقات الشعب:

الطبقة الأولى: طبقةُ السادة المُترَفين، الذين يَحقِدونَ على دعاة الإسلام، وحقائق الدين، ورجال الدعوة، ويخشَون منافستهم لهم في سلطانهم، وصرفَ الناس عنهم.

يتوهَّمون أن الإمارة وَقْفٌ عليهم، فهم لذلك يطلبونها ويقاتلون من أجلها، وفى سبيلها يعبدون الظهور، ويحاربون كل إنسان ظهر واشتهر. ولو كان هذا الإنسان لم يقصد ذلك، إنما جريرته هي حسن خلقه، وطيب سريرته، واستقامته.

إن أنانيَّة هؤلاءِ تملك عليهم كل سبيل، وتطغَى على كل دافع من دوافع الخير، فيجرِّدون حملات الجند والأعوان لحرب المؤمنين إن كانوا ضعافًا، ويرمونهم بالكفر والخروج والإرهاب.

وإن كان المؤمنون أقوياء آوَوْا إلى صفوفهم، لا ليكونوا مؤمنين، ولكن ليدبروا لهم في الخفاء، ويبيتوا لهم في الظلام.

وذلك ما فعله عبد الله بن أبيّ سلول ومَن ظاهَرَهُ، حينما رأى

دين الله ﷻ قد انتصر، وعلِم ألا طاقة له بمقاومة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فتظاهر باعتناقِ الدين الجديد كي يتمكَّن من العمل من وراء ستار.. ولكن الله ﷻ كشف سرَّهُ، وهتَكَ سِتْرَهُ، وأبان لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سوءَ فعلِه، وأنزل فيه قرآنًا يُتلى على الناس إلى يوم الدين.

الطبقة الثانية: طبقة الأتباع الرِّعاع والدَّهْماء، وهم من عُرِفَ عنهم الكبرياء والصَّلَف، والقسوة والغِلْظة.

إن من يفعل مثلما فعل (نبتل) من سَرِقة الأخبار للمنافقين، لا يكون إلا ضعيف الشخصية، مأمورًا من سادته، أو مأجورًا لهم بالمال. يفعل ذلك لا يضيره أن تتنزل نفسيته الوضيعة إلى هذا المستوى... كل ذلك بغية إرضاء سادته، أو القبول عندهم، أو أن يحوز المال.

استهوتهم المنافع الشخصية والمادية، فأنستهم الحياةَ الإيمانيةَ، وهي حلاوة الروح وعذوبتها، فآثروا سعادة البدن، وفضَّلوا شقاء الروح، مع أن الشاعر يقول لأمثالهم:

يا خادِمَ الجِسم كَمْ تَشْقَى بخِدْمَتِهِ ** لِتطلُبَ الرَّبحَ في ما فيه خُسْرانُ

أقبِلْ على النَّفسِ فاستكمِلْ فضائلَها ** فأنتَ بالنَّفسِ لا بالجِسمِ إنسانُ

ويقول غيره:

يا راقِدَ اللَّيلِ مَسْروراً بِأَوَّلِهِ ** إِنَّ الحَوادِثَ قَدْ يَطرُقْنَ أَسْحارا

لا تَفْرَحَنَّ بِلَيلٍ طابَ أَوَّلُهُ ** فَرُبَّ آخِرِ لَيْلٍ أَجَّجَ النَّارا

أرضَوْا شهواتهم البهيميَّة، وسيطرة سادتهم وكبرائهم، وهم في الحقيقة: الطبقة المسكينة التي يقع عليها المَغْرَمُ، وللسادة المُترَفين المَغْنَمُ... ومَرَدُّ الفِئتين إلى النار وبئس المصير - إذا لم تتداركهم رحمة الله. ﷻ، وعنايته بتوبةٍ نصوحٍ من النِّفاق.

الطبقة الثالثة: وهم مَن تستهويهم المنافع الشخصية، أو يستدرجهم الحقد الدفين إلى مهاوي الهلاك، ومواطن الفتنة والدمار، من المُعجبين والمتشبهين بالطبقتين، والمدافعين عنهم.